مجلة دراسات تاريخية المجلد :06 العدد : 01 السنة : 2019 رقم 9741-2352

مقاومة بايلك التيطري للاحتلال الفرنسي 1830-1840

د/ محمد بوطيبي
قسم التاريخ
جامعة يحي فارس بالمدية

تاريخ الارسال : 03-06-2017	تاريخ القبول : 09-06-2019	تاريخ النشر : 27-11-2019

مقـــدمة:

تأسست من طرف بلكين بن زيري من أسرة صنهاجية، على انقاذ التنظيمات الرومانية التي استولت على موريتانيا القيصرية، واتخذت اسمها من يوليوس قيصر. وكانت تمثل الخطوط الدفاعية الأمامية كغيرها من خميس مليانة للدفاع عن المملكة، رغم وجود حنود الفرقة 22 primigenia التي واجهت مقاومة طويلة في من سكان جبال التيطري (monts capientes).

وخلال فترة الحكم العثماني للجزائر، أصبحت المدية أحد الأقاليم الثلاثة (البايلكات) التابعة لدار السلطان، حيث كانت تتكون من مجموعة الأكواخ، تحتوي على ضريح تأسس ما بين 701-704م على يد أبو يحي بأمر من السلطان الحاكم.

1. الحملة الفرنسية الأولى على المدية ومقاومة الأهالي عام 1830:

عشية نزول الحملة الفرنسية 1830 على شواطئ سيدي فرج، واجهت قوات الداي حسين التي كان على رأسها سهره إبراهيم آغا جيوش الاحتلال الفرنسي، وقد ساندته في تلك المقاومة قوات قادمة من جبال المدية

بقيادة بومرزرق للدفاع عن الجزائر[1]. هذا الأخير بعد فشل الدفاع عن العاصمة عاد إلى بايلك التيطري بالمدية، وأصبح بايا منافسا للحاكم العام الفرنسي في الجزائر، من خلال

محاولة ايجاد وزن له على حساب بايلك قسنطينة في تلك الفترة وهو أحمد باي.

لقد شكلت المدية اهتمامات القادة الفرنسيين منذ الوهلة الأولى نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يفصل بين الساحل الجزائري والصحراء في الجنوب. لذلك أراد الحاكم كوزيل خلفية الجنرال دي بورمون أن يحقق نصرا سريعا للفرنسيين في الأراضي الإفريقية، فشكل جيشا قوامه 8000 جندي، حيث أسندت قيادة الجيش للجنرال بوري bory وقائدي الفرقتين هشار هيلر hurel ومونك ديزر mink d'uzer، حيث استطاع القائد كلوزيل توقيع اتفاقية مع سكان البليدة

ويعطيهم بواسطة العميل يوسف وأحد شيوخ المجلس البلدي السابقين، كي يتم التفرغ لحملته على المدية .[2]

بعد اخضاع مدينة البليدة من طرف الحملة التوسعية الفرنسية، ووضع حامية متكونة من فيلقين بتاريخ 20 نوفمبر 1830، كانت الوجهة المقبلة إلى المدية لتأديب بومزراق، عبر مضيق موزاية والثنية، حيث وجدت الجيوش الفرنسية مسار الحملة خاوية على عروشها، كي تشارك في معركة الثنية، وأثناء تلك الحملة قام القائد كلوزيل بإلقاء خطبة تحريضية وتشجيعية لجنوده، بهدف اختراق جبال الأطلسي، وغرس العلم ثلاثي الألوان في المدية، باعتبار أن –العالم المتحضر– كله ينتظر بشغف هذا النصر في عمق القارة الإفريقية.[3]

وما تذكره المصادر الفرنسية أثناء تلك الحملة استقبال الجنرال كلوزيل لأحد شيوخ الزوايا، مصحوبا بخمسة رؤساء من القبائل التي جاءت كي تقدم احتجاجها ضد السياسة السلمية للفرنسيين، وتعرض الولاء والطاعة للقائد الفرنسي كلوزيل، الذي استغل هذه المقابلة في التفاصيل الدقيقة للطريق باتجاه المدية، والتي زودها به الشيخ سيدي محمد بن فقير، إذ خيره هذا الأخير بين طريقين اثنين: الأول قصير ومباشر بمحاذات الجبال، والثاني طويل ومتعرج يوصل إلى الهدف في الأخير، رغم ذلك فإن الجنرال الفرنسي اختار المسار الأول باتجاه المدية.[4]

بالفعل فقد استطاعت القوات الفرنسية من اختراق مضيق موزاية، رغم المقاومة الشرسة من طرف المقاومة العربية. وللمرة الثانية بعد عشرين قرنا من اختراق جبال الأطلسي من طرف الرومان، تم اخترقها من طرف الحملة الفرنسية التي كان على رأسها هشار، يكروس ومكماهون .في ظل ذلك بدأت مظاهر الخيانة والاستسلام تدب في وسط الشيوخ والقبائل بإعلان الولاء والاستسلام، على حد ما ذكره ....:" وصل زعماء القبائل الذين يطلبون الاعتراف بسمو اسم فرنسا للجنرال الفرنسي الله معك وسنأخذ معهم الطريق التي سلكها بومزراق بمعية ابنه للسير في المقاوم شخصيا."[5]

لقد تركت القوات الفرنسية حامية على رأسها القائد مونك ديزر في منطقة الثنية، التي تعتبر عائقا للوصول للضفة الجنوبية للجبال الأطلسي، حيث تسودها منطقة مغطاة بالحجارة الضخمة، وتنتهي في الأخير بممر يوصل إلى حقول الزيتون. حيث تعرضت قوات مونك ديزر في المنطقة مع الفرقة 21 المرابطة في الجهة الشمالية منها لهجمات أهل المنطقة، لكنها لم تفلح في مهامها. وقد استطاع خمسة جنود فرنسيين التسلل واختراق الجهة الجنوبية من المنطقة، ومن بعدهم الفرسان الذين توقفوا قرب أحد الأودية الصغيرة، في الوقت الذي تراجع فيه المحاربون العرب إلى الوراء قرب مدينة المدية.[6] لحماية المضيق الرابط بين متيجة والمدية، فيما واصلت القوات الفرنسية سيرها للدخول للمدية، حيث وصلتهم رسالة استسلام من أحد الأهالي المعوزين يطلبون الاستسلام والولاء للفرنسيين، قبل أن تصلهم طلبات أعيان المدينة المطالبين بالاستسلام .[7] حينما علموا بانهزام القائد بومزراق.

لقد كانت الحملة الفرنسية ضد المدية خلال شهر نوفمبر 1830، حيث بدأ الجنرال كلوزيل Clauzel * حملته العدوانية الأولى على المدية انطلاقا من الجزائر عبر أراضي متيجة، حيث قامت الجيوش الفرنسية

بالتوغل في مخانق جبال الاطلس إلى المدية[8]، حيث واجه مقاومة من قبائل المدية ما بين 17-24 نوفمبر 1830 ضد القوات الفرنسية الغازية للمدينة [9]، حيث دخلت المدينة في 23 نوفمبر أي بعد ستة أيام من انطلاق الحملة من العاصمة [10]، لقد استطاعت القوات الفرنسية القضاء على مقاومة بومزراق وسجنه، ومن أهم المعارك التي خاضتها الجيوش الفرنسية ضد قبائل المنطقة معركة سهل هوارة ما بين 28-29 نوفمبر 1830[11]، وقبل عودة كلوزيل للجزائر قام بتنصيب مصطفى بن الحاج عمر* حاكما على مدينة المدية[12]، في الحي العمومي بالمدية 23 نوفمبر 1830، بناء على المرسوم 16 نوفمبر 1830، بسبب المتاعب والعداء الذي عانى منهما . وقد حدد المرسوم في بنوده المسؤولية المنوط بها للباي الجديد، بأنه يتمتع بالشرف والسلطة التي كان يقوم بها الباي السابق، كما أنه حظي باهتمام الحاكم العام في علاقات التبعية المرتبة مسبقا بين الباي والولاية والحكومة العامة.[13]

لقد حدد المادة الرابعة من أمرية 11 فيفري 1831 بأن باي التيطري وخلفاء الحكومة على رأس البلديات والولايات والقياد والموظفون الآخرون بأن تمنح لهم منحا سنوية، لها علاقة بالخدمة التي يقدمونها للحكومة العامة .[14] إذ يستوجب على الباي الجديد عدم إحداث أي تعديلات بدون أوامر جديدة على المستوى إدارة المدية وعلى تبعية الباي. إذ يقوم الباي باستخلاف المناصب الشاغرة في قطاع الإدارة والعدالة التي تركها الأتراك، التي تكون مبنية على موافقة الحاكم العام. كما أن الديون والمستحقات، والأموال التي كانت تقدمها القبائل للباي للحكومة العامة، يتم صبها في خزينة العمالة وفي أوقات معلومة. ويستوجب على الباي أثناء ممارسة مهامه الإدارية الاتصال بوكيل المملكة الجزائرية، رئيس اللجنة الحكومية، ويتلقى منها التعليمات تطبق في قالبها الأصلي.[15]

يقوم القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالولاية باحترام سلطة الباي ويقدم له الحماية الضرورية، وتطبيق الإجراءات التي يفرضها الباي لخدمة السلم والأمن التي لا تتعارض مع الحكمة والعدالة الفرنسية التي تبنى عليها السياسة الفرنسية. كما يجب على الباي الاستجابة لمطالب الحاكم العام الفرنسي في مصلحة الخدمة العسكرية للقوات البرية، التي تكون في مصلحة البلاد، باعتبار أن تواجد هذه القوات هو تحقيق للأمن في المنطقة. وهذه الاجراءات التي يسهر على تطبيقها ممثل (وكيل) الحكومة في العاصمة.[16]

وقد أعطيت لباي التيطري صلاحيات تجارية، تتمثل في حق تصدير القمح من المدية نحو أوربا عبر ميناء وهران، وذلك بموجب التعليمة الصادرة بتاريخ 4 سبتمبر 1831، في عهد الجنرال بارتيزان، والتي تسمح له بتصدير 15 ألف مكيال من القمح الأوربي تحت تنفيذ ممثل الحكومة الايالة.[17] والأكيد أن ذلك القمح كان ينتج في هضاب وسهول الولاية، والذي ذكرته الكتابات الأوربية خلال القرن التاسع عشر.

لقد ظل الباي الجديد ينفذ مهامه الادارية في إدارة مغلقة، بحيث لم يستطع الخروج من دائرته المغلقة، كي يؤدب المقاومين في جهات المدية، وكان همه الأكبر هو مطالبة السلطات الفرنسية في العاصمة بالمزيد من

المساعدات والحماية.[18] دلالة على عدم توفر الأمن في منطقة المدية وضواحيها.

وكان يشرف على حراسة الباي مصطفى بن الحاج عمر مجموعة من الشواش، وكان همه الأكبر هو طلب الحماية أكثر من الفرنسيين[19]، باعتبار أنه كان مدعما بالفرقة الدفاعية رقم 20 المتكونة من 12000 عسكري فرنسي. [20] والفرقة 20 ومجموعة من الزواف[21] لحماية المدية. وعادت الحملة أدراجها إلى العاصمة خلال أربعة أيام أخرى، حينها اعترضتها مقاومات متفرقة لم ترقى عملياتها لعمليات كبرى تذكر.[22] في الوقت الذي تم تعيين الكولونيل ماريو للإشراف على الباي الجديد ومضيق موزاية.[23] في الوقت الذي عادت فيه الحملة الفرنسية أدراجها إلى الجزائر العاصمة بقيادة الجنرال كلوزيل بتاريخ 26 نوفمبر 1830،[24] بعد استراحة ظرفية في مدينة المدية، مرفوقة بالقائد بومزراق وأسرته وعناصر الانكشارية، التي كانت تسيير في وسط جيوش الجملة الفرنسية.[25]

كان سكان المدية يقدرون بحوالي 10000 مواطن، حيث لم يكتف الجنرال كلوزيل بترك فرقتين عسكريتين، ومفرزة من الزواف، بل طلب من القائد ماريو تشكيل أربع فرق أخرى من الأهالي للدفاع عن المدينة.[26] تلك المدينة التي كانت لها أهمية كبيرة عند الفرنسيين، باعتبارها تشكل منفذا أساسيا نحو المناطق الجنوبية الجزائرية، كما تمثل حلقة وسط بين بايلك الشرق والغرب. وقد تكبدت الجيوش الفرنسية خسائر بشرية من أجل احتلال المدينة، قدرت خلال الحملة الأولى 162قتيلا و300 جريحا، وفي الحملة الثانية ب63 قتيلا و192 جريحا. تلك الحملة التي هلل لها المحاربون الفرنسيون، حيث كتب أحد الضباط المشاركين في الحملة ما يلي: " ستكون فرنسا سعيدة، وأظن أن حملة السبعة أيام... ستحقق نفس النتائج في قسنطينة وإفريقيا ..."[27]

كان موقف سكان المدية متباينا من احتلال بايلك التيطري، بانقسامهم إلى شقين متباينين. فالأول كان موقفه سلبيا بين الاستقلال أو الخضوع للإدارة الاستعمارية، وهم يتشكلون من البربر الغير مبالين واليهود، همهم الأكبر هو الخضوع والحفاظ على مصالحهم وثرواتهم فقط. أما الموقف الثاني فقد شكل نواة المقاومة والمعارضة للاحتلال الفرنسي في المنطقة، في الوقت الذي تحفظ فيه الأتراك متعالين عن شيوخ الدين المحليين. رغم ذلك فالمقاومة ظلت مستمرة معارضة للباي المنصب عليهم من طرف الجنرال كلوزيل.[28] فالأتراك كان مصممين على معارضة الباي الجديد منذ الوهلة. [29]

من المعروف أن الحامية الفرنسية في المدية كانت تتشكل من الفرقة رقم 20، التي كانت متمركزة في وسط المدية، بينما فرقتي 28 والزواف كانتا متمركزتين خارج مدينة المدية، قصد مراقبة تحركات المقاومين القادمة من دواوير وأعراش المناطق المجاورة. وبالفعل فبعد يوم من مغادرة القائد كلوزيل مدينة المدية فقد هاجمت قوات متكونة من 3000 محارب مزرعة الباي، حيث كان يوجد مقر قائد الفرقة الفرنسية ديلوني delauny . وقد شجعت هذه العملية مقاتلو أرياف المدية القيام بنفس العملية في اليومين التاليين. وازدادت المقاومة أكثر حين ربط المقاومون اتصالات مع أهالي مدينة المدية في 29 نوفمبر 1830، وفرضوا حصارا كبيرا على الفرنسيين

الذين من حسن حضهم انقذتهم الأمطار الغزيرة التي تساقطت فترة طويلة على المنطقة، لدرجة عجز القائد ماريو عن التدخل لمساعدة القائد ديلوني.[30]

إن وضعية الحامية الفرنسي في المدية كانت جد حرجة بسبب شدة المقاومة الأهلية، باعتراف قائد الحامية العسكرية في المدية من خلال الرسالة التي وجهها للجنرال كلوزيل يطلب منه الأسلحة، حسب ما جاء في الرسالة التي بعثها للقائد كلوزيل في 27 نوفمبر 1830:" أرسل إلى الأسلحة إني أخاف أن تنفذ إن كرر العدو هجومه". كما أرسل له برقية في اليوم الموالي جاء فيها: " إن وضعيتي حرجة بسبب قلة الذخيرة التي تركتني لحد اليوم إذا عاد العدو فأعود في الظهيرة إلى استعمال الخناجر". وظل يلح عليه بإرسال مدفعين وفرقة لإعادة تعويض الخسائر البشرية التي لحقت به من جراء هجمات القبائل المجاورة، التي تكبد فيها الفرنسيون خلال يومين أكثر من ثلاثمائة 300 قتيل. [31]

لقد رتب قائد الحملة الفرنسية الأولى أموره في مدينة المدية، بتعيين القائد ماريو مشرفا على المنطقة تحت الباي الجديد، وعززت السلطة الفرنسية وجودها، بإرسال الجنرال بوايي إلى المدية، وتكليفه بنقل المئونة في 2 ديسمبر 1930 من مقر الحاكم العام على رأس فرقتين عسكريين وقافلة ضخمة من المحملة بالمئونة. لتقديم الدعم والمساعدة للقائد ماريو، الذي كان يعاني من هجمات العرب المتكررة، القادمة من عروش ودواوير المنطقة، حيث تعرض المحمية خلال شهر نوفمبر ما بين خمس أو ست حملات من جهات الريغور، أسام، الهواورة ووزرة، بني حسان، بن علاب، استطاعت الحامية الفرنسية صدها باستمرار.[32]

لقد استطاع بوايي انجاز المهمة بوصوله إلى مدينة المدية في الرابع ديسمبر 1830، ترك فرقتين عسكريتين، بعدها عاد أدراجه للعاصمة، في هذه الفترة تم تكليف الجنرال دونليو danlion بتسيير شؤون المدية. [33]

إن فترة حكم دانليو تميزت بإحكام السيطرة على المدية، وتحولت الحامية العسكرية من الدفاع إلى الهجوم والانتقام من الأهالي. فبعد إقدام بعض العناصر المناوئة لحكم الباي بن عمر على صيد الشيخ المسمى بن عمر بطريقة بشعة، قام القائد الجديد بتوجيه حملة لتأديب القبيلة التي أقدمت على تلك الفعلة في 22 ديسمبر 1830، غير أن سكان هذه القبيلة فروا، مما جعل القائد دونليو ينتقم من القبائل المجاورة بحرق أكواخهم وسلب ثروتهم الحيوانية . ونتيجة الإقدام على العملية اشتعلت أرياف وعروش المدية ضد الحامية الفرنسية من جديد. [34]

إذا كانت الأمور الأمنية قد هدأت في متيجة، وأصبح الحاكم العام يتجول في ربوعها بدون إزعاج من الأهالي كما هو حال القائد برتيزان الذي قام بجولة في البليدة والقليعة في سهر مارس. فإن الأمن لم يستتب في المنطقة الفاصلة بين المدية والبليدة، حيث عرفت هذه المناطق الجبلية انتفاضات من قبائل بني صالح وبين ميصرا، وأصبحوا يقومون بالغارات على المصالح الفرنسية في سهل متيجة، كما هو الحال في مهاجمة سوقي بني موسى وبوفاريك، كما أصبحوا يقومون بغارات على قبائل المتيجة، التي كانت تتعامل مع الفرنسيين، ومنهم قبيلة الخراشنة التي كان على رأسها القايد محمد بن العمري.[35]

لقد أثارت قبائل بني مصرا وبني صالح غضب الجنرال بارتيزان مما جعله يهيئ حملة عسكرية قوامها 4000 مقاتل ضدهم في السابع ماي، لكن الظروف الطبيعية حالت دون ذلك، وفشلت حملة بارتيزان في تأديب هذه القبائل، التي فرت نحو أعلي الجبال الحصينة .[36]

لما كانت طلائع القبائل تظهر باستمرار، فقد أرسلت القيادة الفرنسية حملة قوامها خمسة فيالق بقيادة ضابط الدرك المحلي الآغا ماندري mendiri في الفاتح جويلية 1831، حيث قام ماندري بتخريب الأشجار ومزارع القمح في تلك الجهة، متبوعا بعشرة قبائل. مما جعل البابي بن عمر في اليوم الموالي يطلب الرحيل مع الحملات الفرنسية، بدلا البقاء في مقره بالمدية، خوفا من تعرضه لهجوم القبائل العربية المغيرة على المدية.[37] وهذا الباي الذي حاولت فرنسا تنصيبه على المدية، لكن تم رفضه من طرف الأهالي.

بعد تسلم القائد كلوزيل للحكم حاكما عاما للجزائر، قام بتنصيب بعض بايات على المناطق التي كانت خاضعة لحكمه، منهم الباي محمد على التيطري عام 1835، الباي ابراهيم على معسكر، الذي اعتزل وطلب تحويله إلى مستغانم، بعد تراجع قوة الحملة الفرنسية على المنطقة. وتم تسمية المزاري بايا على معسكر، لكن لم يستطع الوصول لأقامته بمعسكر التي ظل منصب الباي شاغرا فيها خلال هذه الفترة. والموكليك بتلمسان. وهناك قائمة للأسماء التي عينت في هذه المناصب خدمة للسياسة الفرنسية منشورة بجريدة لومنيتور دالجي بتاريخ 15 أكتوبر 1835.[38]

ما يشار إليه أنه خلال تنصيب الباي الجديد محمد حاكما على المدية في الجزائر من طرف الماريشال كلوزيل، قامت مجموعة مكونه من 150 شخصية من أعيان وشيوخ القبائل من مختلف مناطق المدية وأعيانها بتقديم الطاعة والولاء لصاحب المقام الجديد، مرفقا بقائده وفريق مكتبة لتعينه في المنصب من طرف الحاكم العام. وبعد الانتهاء من مراسيم التنصيب تم مرافقتهم من طرف الجنرال رابتال إلى مضيق الثنية* ينتظرون مصيرا مجهولا من طرف القبائل المعارضة، وعلى رأسهم عروش بني يعقوب وحسان بن علي .[39]

فأثناء قدوم الباي المنصب محمد بن الحسين لتسلم منصب القيادة في مدينة المدية، والذي كان شيخا كبيرا من أصل تركي [40] قادما من الجزائر إلى المدية في حالة مرتبكة وباسم مستعار خوفا من اكتشاف أمره، تم اعتراضه من قبائل بني يعقوب، ونهبت كل ثرواته وممتلكاته التي كان يحملها معه، ولما وصل إلى قبيلة حسان بن علي ألقي عليه القبض رفقة العناصر المرافقة له، وتم تسجنه قرابة ثلاثة أشهر، مصونين لغاية مستقبلية.[41]

غير أن الجنرال كلوزيل انقذ الموقف بتوجيه حملة لتحرير الباي المعزول، وبعد أن تمت عملية تحريره، فقد زوده بأكثر من 600 بندقية سلاح، 50000 خرطوشة، و6000 فرنك فرنسي قديم، واستلم الباي محمد مهامه في المدية، لكن يبدوا أنه كان غير محظوظ وغير فطن، لأن أحد ضباط عبد القادر، استطاع الاستيلاء على ممتلكات الباي من أسلحة وأموال وذخيرة، وتم تعبئتها على ظهر حمار لتزويد الجنود بها.[42]يبدو أن الباي محمد كان أقل عنفا ومواجهة مقارنة مع البايات الآخرين،

ومنهم يوسف اللقيط (يوسف التونسي) باي قسنطينة بعد سقوط أحمد باي. الذي وضع شرطا أساسيا لسكان التيطري، عندما ألح على طلب منصب الباي بأنه :" سأقطع رؤوس ستة من أثرياء من سكان المدية أصادر ممتلكاتهم كي أجعل البلد يعيش في الخوف الحقيقي وأخربها مدة أسبوع كامل "[43]. لماذا كل هذا الحقد الذي كان يكنه هذا العميل لسكان المدية؟ أهو حب للسلطة؟ أم هي سياسة لإرضاء السلطات الفرنسية؟

2. حملة المضيق ضد قوات ماندري:

أثناء عودة الحملة ماندري من المدية إلى العاصمة بتاريخ 2 جويلية 1831، والمقدرة بأكثر من 4500 جندي فرنسي، فكرت القيادة الفرنسية عبور المنطقة انطلاقا على الساعة الخامسة صباحا، لكي تصل إلى عاصمة بايلك التيطري قبل أن يعسعس الليل عليها، خوفا من هجمات القبائل والعروش المجاورة للمدية، حيث وضعت القافلة العسكرية القبائل المحلية التي جلبها ماندري من جهات هوارة كدرع حامي من الخلف للهجمات المحتملة من طرف العرب. وبالفعل فقد غادرت الحملة المدية من منطقة الزيتون على الساعة 11 نهارا.

لقد تسرب أخبار للأهالي عن رحيل الحملة، حيث اجتمع فئات من الأتراك والعرب الذين اجتمعوا بأهالي موزاية وسماتة، بهدف محاصرة الفرنسيين في مضيق صعب يؤدي إلى الثنية، محفوف بالأودية والأشجار والصخور، حيث جرت معركة بين الطرفين. من نتائجها الأولية سقوط ثلاثة جنود فرنسيين وجرحى آخرين، حيث تخلصت القوات الفرنسية بصعوبة من قبضة محاربي قبائل التيطري، المقدرة بحوالي 1500 محاربة، استطاعت الفرقة رقم 20 وفرق الزواف المتطوعة في صفوف الحملة بقيادة القائد ديفيفي [44] devivier .وقطعة المدفعية التي كان على رأسها القائد كفان cavin. حينها وصل الجنود الفرنسيين إلى موزاية، وتوقفت الجموع المهاجمة في سفوح جبال الأطلسي، هذه الحملة التي عادت أدراجها إلى الجزائر في الخامس جويلية، خلفت في صفوفها 55 قتيلا و 198 جريحا من الجنود الفرنسيين .[45]

3. ثورة ابن بومزراق وأهالي المدية (معركة عين الكرمة):

لقد تزامنت ثورة ابن بومزراق مع مقاومة ابن زعموم. فالأول بعدما سمح له من طرف السلطات الفرنسية بالعودة إلى المدية في شهر فيفري 1831. قاد مجموعة من الثائرين من نواحي المدية، حيث أنه خلال شهر جويلية تبنى عمليات عسكرية قرب مدينة الجزائر، حيث اعترضوا بتاريخ 18 جويلية 1831 فرقة مدفعية عائدة على طريق العاصمة بالقرب من بئر الخادم وأصيب فيها فرس القائد أميرول Amirault. وفي اليوم الموالي تم مهاجمة نفس المزرعة لكن دون تحقيق نتائج تذكر. كما تعرضت الفرقة المحمية من الفيلق رقم 76 لهجوم في التاسع عشر جويلية، الذي تم انتزاعها. في الحين تم تحويل طريق نصف الفيلق لولا تدخل المفرزة رقم 30. وفي 12 من نفس الشهر تدخل الجنرال فوشار Fouchers في معركة حامية الوطيس في واد الكرمة، وبذلك أصبحت المنطقة تعاني خطرا حقيقيا لولا تدخل القائد برتيزان على رأس أربعة فيالق عسكرية لإبعاد

المحاربين العرب عن الجهة المذكورة . وظلت القوات الفرنسية تلاحق الثائرين في معارك بئر التوتة وبوفاريك، حيث انسحب في الأخير المقاومون تاركين مابين 60-800 قتيل في صفوفهم، في الوقت الذي قدرت الخسارة البشرية في صفوف الفرنسيين ب 28 قتيل و 134 جريح، رغم ذلك فالمقاومة استمرت إلى غاية شهر ديسمبر.[46]

4. المدية ولاية في دولة الأمير عبد القادر:

بعد فشل الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة، وتوقيع الأمير عبد القادر لمعاهدتي دي مشال والتافنة مع الأطراف الفرنسية، فإن الوضع الفرنسي في الجزائر أصبح غير مستقر، حيث أصبحت تراب المدية وملیانة في حظيرة دولة الأمير عبد القادر. فالمنطقة المحاذية للممتلكات الفرنسية العاصمة كانت مهدا لتنظيمات الأمير عبد القادر، فخلال السنتين اللاحقتين حاول الأمير القيام بترتيبات عسكرية في المنطقة، حيث قام بوضع مخزن لصناعة البارود والأسلحة، استعداد للحرب القادمة مع الفرنسيين.[47]

بغية تثبيت الأمير عبد القادر وجوده ودعائم دولته في هذه المناطق، فإنه قدم إلى المناطق الوسطى منها شرشال التي عين عليها قائدا خاضعا لسلطته الفعلية، وقبائل بني مناصر المحايدة بسبب تهربها من الضرائب المفروضة، حيث عرج الأمير على ملیانة متوجها إلى معسكر، لكن الغريب أنه وصل إلى واد الفضة هناك عاد إلى المدية التي دخلها بتاريخ 22 أفريل،[48] وقد يكون السبب في ذلك هو رغبة سكان التيطري الانضمام للأمير عبد القادر، كما يبدو من خلال مراسلة أهالي المدية للأمير عبد القادر للخضوع لسلطته، رافضين الفوضى التي كانت تعيشها المنطقة، معرضين عن السياسة الفرنسية التي تعتبر القبائل المساندة للأمير عبد القادر هي عدوة بالضرورة لفرنسا،[49] حيث أعطى أوامرا بالقبض على مئات الكراغلة* وتم سجنهم في مدينة ملیانة. كما قام الأمير عبد القادر بالتعرف على قبائل المجاورة للمدية وزار البليدة وغيرها. وبذلك أصبح الأمير عبد القادر يراقب تحركات الفرنسيين من المدية، وأحداث العاصمة بعد انسحاب دامرمون واسترجاع طريق وهران، وعين أخوه الحاج مصطفى حاكما على مقاطعة المدية .[50] وقد اعتبر البعض أن الأمير عبد القادر جاء لينتصر للغرب للحزب المتعصب بقيادة سيدي العربي، لما سمع بأن موسى الشريف استولى على المدية .[51]

إن ولاية الخليفة الحاج مصطفى أخ الأمير عبد القادر لم تدم طويلا، فسرعان ما عين عليها نائبه محمد بن عيسى البركاني خليفة على المدية، باعتبار أن الأول كان منشغلا بالعبادة بدلا من الأمور الإدارية والعسكرية. أقدم الأمير على عزله من منصبه، وعين بدله الخليفة محمد بن عيسى البركاني نظرا لشجاعته وخبرته العسكرية ودوره الجهادي، خاصة وأنه كان على علاقة بالحاج موسى الدرقاوي الذي تزعم المقاومة بمتيجة 1833-1834، والذي طلب منه إثارة عرب الصحراء ضد الفرنسيين .[52]

بعد استيلاء الجيوش الفرنسية على تلمسان، التي كانت تتعقب قوات الأمير عبد القادر، ووهران في 12 فيفري 1936، خرج خليفة الأمير عبد القادر من المدية فارا منها. غير أنه بعد معاهدة التافنة 5 ماي 1837 التي عقدها الأمير عبد القادر مع الفرنسيين، أصبحت

الادارة الفرنسية تعرف وضعا حرجا في الجزائر واضطرابات في مناطق شتى، فأصبحت أوطان حجوط تقوم بالنهب على المناطق المجاورة التابعة الفرنسيين. في الوقت الذي كانت المدية تحت حكم الباي الحاج مصطفى أخ الأمير عبد القادر الذي فرض ضريبة على البليدة. [53]

لقد اغتنم الأمير عبد القادر الفرصة لتنظيم إدارته في الولايات التابعة له، حيث اتجه في ديسمبر إلى بزج حمزة (البويرة) على حدود قسنطينة، بقوات قدرت بحوالي 2500 محارب في منطقة الحميز، كما عرج على المدية ونصب فيها الباي وقياد المقاطعة في مختلف المناطق.

لقد تميزت فترة 1837-1839 بالاستفزازات المستمرة من طرف قوات الأمير عبد القادر، وبإقامة البركاني في المدية. الذي كان رهن إشارة الأمير، تميز فترته بمهاجمة القوافل العسكرية الفرنسية في متيجة، منها حملته الانتقامية على البليدة انتهت بفشله وخسائر مادية وبشرية. إن المصادر الفرنسية تذكر بإن الأعمال العدائية للبركاني جعلتهم يوجهون حملة بقيادة فالي vallée إلى المدية في 18 نوفمبر 1839 / 11 رمضان. لقد تموقع البركاني متسترا على القمم والروابي المطلة على سهل متيجة، بعد الاجتماع الذي عقده الأمير عبد القادر في المدينة بإعلان الحرب والذي ارتدت عنه معظم القبائل المجاورة. [54]

وفي أحد الرسائل المؤرخة في 12 ديسمبر 1838 يعترف سان تارنو Saint-Arnaud بانتصار الأمير عبد القادر عن الجيوش الفرنسية بعد معركة عين الميدي، حيث قام هذا الأخير بجمع قواته وتمركزه بالمدية، حيث استطاع ان يجمع الأمير السكان المحليين إلى جانبه، بوقوف سكان الجهة وغيرها إلى جانب الأمير عبد القادر، حيث يقول سان تارنو بأنه كان يلزمه على الأقل عشرين ألف مقاتل للتفوق على قوات الأمير والتي لم يجدها على أرض الواقع حسب قوله: "من خلال معرفة بالمس لقد مررت ورأيت القبائل، وأيضا الدواوير والصحاري، الكل فر من أطفال ونساء وماشية ملهم فروا نحو الجبال. والرجال تجمعوا للتحضير (للمقاومة)". [55]

في ظل هذه تفاعل الظروف السابقة حاول الماريشال كلوزيل تأديب قبائل جبال الأطلسي التي كانت تعترض طرق الفرنسيين باستمرار. وبالفعل فقد وجهت القيادة الفرنسية حملة ثانية على مدينة المدية، انطلقت من بوفاريك تحت قيادة الماريشال ومساعديه ديميشال Desmichels ورابتال Rapatel، قوامها 7000 جنديا من المشاة، منهم 1200 جندي ينتمون لقوات الهندسة المدفعية، حيث واجهت الحملة مقاومة من طرف القبائل أثناء عبورها مضيق الثنية، رغم ذلك فالحملة الفرنسية فقد نجحت مرة أخرى، واستطاع القائد ديميشال دخول مدينة المدية في 4 أفريل 1936.[56] ونصب الباي الجديد على المنطقة. وقام بتأديب القبائل المجاورة للمدية. وفي هذه الظروف قامت وحدات الهندسة المدنية بتهيئة 15 كلم من طريق الثنية، الرابط بين المدية ومتيجة، مدعما بالمدفعية في وجه القبائل العربية الثائرة ضد الفرنسيين .[57]

5.معركة الثنية بين الأمير عبد القادر والفرنسيين والاستيلاء على المدية:

علمت الحكومة الفرنسية في شهر أفريل 1840 بأن القسم الأكبر من المحاربين العرب يتمركزون في مضيق ثنية موزاية المؤدي إلى مدينة المدية. وأعطيت الأوامر لاحتلال المضيق والمدية معا، حيث تم تجهيز جيش قوي يقوده أكبر الجنرالات الفرنسيين،وهم الدوق أرليون Duc Orléans، لامورسيار Lamoricière، أومالAumale ، ديفيفي Duvivier، على أقوى الفيالق العسكرية، الفرقة 13، 17 التي كان يقودها القائد بيدو Bedeau ، والفرقة 2 بقيادة القائد شونقاربيChangarnier ، والمدفعية بقيادة الماريشال فالي Valée في 14 ماي .[58] ورغم تحصن القوات الجزائرية في المضيق فإن المقاومة التي كان يقودها الأمير عبد القادر فقد فشلت في صد القوات الفرنسية عن مضيق الثنية. حيث استطاعت بعض القوات الوصول للهضبة متخذة مسارا بمحاذات المرتفعات، كما استطاعت القوات الفرنسية بعد معارك ضارية اختراق المضيق، والوصول لأعالي المرتفعات الجبلية بقيادة الدوق أورليون، حيث انسحبت قوات الأمير مخلفة وراءها خسائر في العتاد والأرواح، حيث تمكنت الجيوش الفرنسية بتاريخ 17 ماي 1840 من دخول مدينة المدية، في الوقت الذي أخلى فيه الأمير المدينة مصحوبا بسكانها الشرعيين معه[59]. وبذلك خلى الجو للفرنسيين، وعملت القيادة الفرنسية على تقوية المدينة لصالحهم، وبتاريخ 20 ماي من نفس السنة غادرت الحملة الفرنسية المدينة تاركة وراءها حامية تتكون من ألفين (2000) جندي تحت قيادة ديفيفي، الذي أصبح حاكما على مقاطعة المدية باسم الحكومة الفرنسية في الجزائر.

الخـــــلاصـة:

إن موقع بايلك التيطري نظرا لأهمية الجيو استراتيجية جلب لفت أنظار الاحتلال الفرنسي للمنطقة منذ الوهلة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، فكانت إحدى الحلقات الصعبة في عملية الاحتلال الفرنسي للمناطق الداخلية الجزائرية.

إن رد فعل سكان ولاية المدية، وخصوصا القبائل الجبال المجاورة تمثل في المقاومة المستمرة للاحتلال لمدة عشر سنوات كاملة، وذلك بالانخراط في المقاومة الرسمية مع الباي بومزراق عشية نزول جيوش الحملة الفرنسية على شواطئ سيدي فرج، وتكررت المقاومة مرة أخرى عشية الحملة الفرنسية على المدية بقيادة الجنرال كلوزيل عام 1830.

لقد فشلت ترتيبات الحملة الفرنسية في المدية بعد الحملة الفرنسية الأولى بقيادة الجنرال كلوزيل عام 1831، حيث ظهرت مقاومات شعبية من طرف سكان العروش الدواوير والقبائل، وظلت الحامية العسكرية الفرنسية تتعرض لهجوم السكان المحليين القادمين من جبال المدية، مما جعل الحامية الفرنسية وإدارتها تنسحب من المنطقة، وبعدها أصبحت المدية إحدى المقاطعات التابعة لدولة الأمير عبد القادر.

لقد خضعت المدية والمناطق التابعة إليها لسلطة الأمير عبد القادر مفضلة الحفاظ على الملة والهوية والقومية، إلى غاية 1840م.

إن تغير موازين القوى بين المقاومة الشعبية والقوى الفرنسية، ساعدت على سقوط المدية في يد الفرنسيين عام 1840. لتبدأ مرحلة جديدة في المنطقة، عرفت خلالها المقاطعة ترتيبات سياسية، عسكرية، اقتصادية واجتماعية قصد تدعيم السلطة الفرنسية في المدية.

[1] أبو القاسم سعد اللة، محاضرات في تاريخ الجزائر، .....

* يذكر بودان بأن مصطفى بن الحاج عمر كان موريسكيا ترعرع في العاصمة، تم تعينه من طرف المجلس المحلي بقرار من القائد كلوزيل المؤرخ في 15 نوفمبر 1830، وتولى منصبه في 23 نوفمبر 1830، لكنه لم ينجح في مهمته الإدارية، مما جعل الحاكم الفرنسي يعينه على مدينة وهران في نفس الوظيفة، معروف برحلاته نحو اوربا واسيا، وأنه كان مكروها من طرف سكان المدية. أنظر:

Baudens ,**relation de l'expédition de Médéa**, , publiée par Vict , p.200.

[2] Plée, Léon . **Abd-el-Kader** : **nos soldats**, **nos généraux et la guerre d'Afrique** , p10.

[3] IBID, p10.

[4] .-A. Dieuzaide, **Histoire de l'Algérie de 1830-1878**. Tome 1,p165.

[5] Plée, Léon , op.cit, p10.

[6] .-A. Dieuzaide op.cit,p169.

* هو برترون كلوزيل كونت Bertrand Clauzel وماريشال فرنسا، ولد عام 1772، في ميربوا meripoix (أرياج) ariage ، توفي عام 1842، تطوع في الجندية، قام بالخدمة عام 1974، ثم في جيش البريني 1795، قاد فرقة عسكرية في إيطاليا، 1799، رافق الجنرال لكلارك في جزر سان دومنيك، عين جنرال قسم، ضرب مثلا في الحرب الاسبانية تحت جينو ومسينا، وفي عام 1812 في منطقة البرتغال، عينه لويس الثامن عشر مفتشا عاما للجيش البري خلال الإصلاح الأول، تم نفيه بسبب تعاونه مع نابليون بونابرت، بعد عودة من منفاه من جبال الألب 1815. عاد إلى فرنسا بعد العفو عليه 1820، وانتخب عضوا في البرلمان عام 1827، ممثلا لمقاطعة الروتل، عين حاكما عاما للجزائر بعد الاحتلال 1830، وفي عهده تم احتلال المدية والبليدة. وتم استدعاؤه عام 1831إلى فرنسا على خلفية مع الباي التونسي التي تنص على تنازله عن وهران وقسنطينة. وبعدها عين ماريشال، ثم حاكما عاما على الجزائر مرة ثانية في 1835، وفشل في احتلال قسنطينة، بعدها انتقل إلى فرنسا متقاعدا حتى وفاته 1842.أنظر:

maréchal Bugeaud, **d'après sa correspondance intime et des documents inédits**, p11.

[7] Plée, Léon ,op.cit, p10.

[8] Paul Thureau-Dangin . **Histoire de la monarchie de Juillet**. Tome 3 ,p.461.

[9] M .ANDRIANT PASCAL. **Histoire de l'armée et de tous les régiments**. Tome 4, deytrte librerie- editeur .1864.p.lviii.

[10]Paul Thureau-op.cit, p.461.

[11] M .ANDRIANT PASCAL, op.cit, pLVIII.

[12] Baudens ,**Relation de l'expédition de Médéa**,publiée par Vict , p.201.

[13] Minestere de la guerre , **collection des actes du gouvernement j'usqu'au octobre 1934** ,imprimerie royale , paris ,p 40.

[14] IBID ,p 81 ,82.

[15] Minestere de la guerre ,opcit ,p 41.

[16] IBID ,p 42.

[17] IBID ,p 142 ,143.

[18] A. Desjobert, **La question d'Alger** : **politique**, **colonisation**, **ommerce** , dufart librairie ,paris , 1837 ,p102.

[19] A-Dieuzaide , Histoire de l'Algérie de 1830-1878. Tome 1 , p.229

** يذكر بودان بإن السلطة الفرنسية في عهد كلوزيل وقعت معاهدة مع باي تونس بمبلغ 2 مليون فرنك فرنسي قديم، تنازلت بموجبها فرنسا اتونس على وهران وقسنطينة تحت حكم الباي حتى تتفرغ لاحتلال العاصمة المدية وعنابة التي لم تحقق.

Baudens , op.cit , p.201.

[20] IBID , p.200.

[21] .-A. Dieuzaide , op.cit ,p170.

[22] Paul Thureau-Dangin , **Histoire de la monarchie de Juillet**. Tome 3 , p.461.

[23] Plée, Léon ,op.cit , p10.

[24] .-A. Dieuzaide , op.cit ,p170.

[25] Plée, Léon ,op.cit , p10.

[26] Histoire de l'armée et de tous les régiments.... Tome 4 p111.

[27] Paul Thureau-Dangin , opcit. Tome 3 , p.461.

[28] IBID,p.462 -464.

[29] A-Dieuzaide , op.cit , p229.

[30] IBID , p173.

[31] IBID ,p173 ,174.

[32] Paul Thureau-Dangin , op.cit, p.461.

[33] A. Dieuzaide , op.cit , p174 ,175.

[34] IBID , p175.

[35] A. Dieuzaide , op.cit , p226 ,227.

[36] IBID , p.229

[37] IBID , p230 ,231.

[38] Desjobert, La **question d'Alger** : **politique**, **colonisation**, **commerce**, p290 ,291.

يذكر البعض بأنه الجنرال رابتال كان على رأس 2000 مقاتل، أوصله إلى موزاية، ضنا من الباي بأنه سيلاقي بعض المتعاونين معه، لكنه للأسف التقى بخصومه، مما جعله يخوض بعض المعارك ضدهم، ليعود مرة أخرى إلى حامية بوفاريك، لكن رغم ذلك فقد حاول الباي الوصول لمقر حكمه، لكنه تفاجئ بقبائل حسان بن علي التي ألقت عليه القبض. كما أن قبائل حجوط نهبت قافلته، ورغم ذلك فإن القوات الفرنسية لم تتدخل ضد قبائل حجوط للثأر لباي التيطري. أنظر:

Léon, Monographie de la commune de Médéa ,p23.

[39] A. Desjobert, op.cit, p.292.

[40] Léon, ...op.cit , p23.

[41] A. Desjobert,op.cit, p293.

[42] IBID, p293.

[43] IBID, p293.

[44] Dieuzaide , OP.CIT ,pp230 -232

[45] IBID 1 , pp230 -233.

[46] IBID , p236,237.

[47] Léon , op.cit,p26.

[48]Victor.-A. **Histoire de l'Algérie de 1830-1878**. **Tome 2** , ... Dieuzaide ,op.cit ,p224.

[49] A. Desjobert,op.cit, p318.

* يذكر الجنرال بيجو بأن عدد الكراغلة الموقوفين هو 85 كرغلي. أنظر:

Le maréchal Bugeaud, op.cit, 1 , p60.

[50] Victor.-A. Dieuzaide , Histoire... , op.cit. Tome 2 , ,p224.

[51] A. Desjobert, p319.

[52]مديرية الثقافة لولاية المدية، لالة فاطمة نسومر بين المقاومة والتصوف، ملتقى لالة فاطمة نسومر 12/10 ماي 2009، منشورات دارالثقافة بالمدية، ص ص 46-48.

[53]M .ANDRIANT PASCAL, **Histoire de l'armée et de tous les régiments**...., Tome 4 deytrte libreri ; 1864, p223.

[54] Leon , monographie ...op.cit , p26.

[55] Sainte bévue , **Lettres du maréchal de Saint-Arnaud**, 1832-1854. Tome 1,Edition 3 , Michel Lévy imprimerie , 1864 , p.183.

[56] M .ANDRIANT PASCAL. op.cit ,p.111

[57] IBID ,p111.

[58] LEON , monographie ,op.cit , p27.

[59] IBID , p28.

*الأقاليم أو المناطق المدنية تسير على أساس الحقوق المشتركة، الانتخابات الخاصة، الدستور، والإدارة المدنية K، للأوربيين الحق في مؤسساتهم الطبيعة، وحق اكتساب وبيع الممتلكات العينية الثابتة، بحكم قانون 15أفريل 1845. أما الاقاليم العسكرية فالسلطات العسكرية هي التي تدير الشؤون المدنية والإدارية والقضائية أما اكتساب وبيع الممتلكات العينية لا يكون إلا اتحت إشراف وزارة الحربية. المناطق العربية تدار عسكريا لا يمكن الاستقرار فيها إلا بإذن عسكري شخصي. بعد انشاء القسم الإقليمي.

L'Algérie_en_1848_tableau_géographique_[...7,68.6]Bequet_ (ex-chef, p